

للأستاذ الكبير جودت حيدر ، شاعر لبنان بالإنكليزية ، أرمحيّة

عربيّة الوجه واليد واللسان ؛ فقد تفضّل فأهداني من كتابه الأخير ،
ECHOES نسخة مؤثّية بـكريم تحبيره وتعبيره . وهذا رجع جوابي
عرفانا لعرفه ، وتقديرا لمرّ أهدى وما أهدى ؛ وهو

«الأصدائه» صدّي أحبُّ أن يُسمع ويُستمع إليه ، ويُقرأ أدب الرجل
فينزل منزلته التي يستحقُّ ، ويكرم تكريم رجال الفكر في قرننا
الذي عرفه وعركه ، وخبره وسبّره وعبره . - جدار أن

يسبقنا إليه بنو أمّ شُكسبير أو سادة العالم الجديد ؛ وجار الدار
أحقُّ بدار الجار ، فكيف بمن كان منا في الذوّابة ؟

وسقار وأربى النربين شعاري

الأهل وأهلي والديار دياري

إلى الأديب الشاعر ، أحد أفراد الزمان ،

الأيام نازجوت حبه

أُسْلِمَ وَالتَّسْلِيمُ أَيْسَرُ وَاجِبٌ وبالرَّغْمِ مِنِّي أَنْ أُسْلِمَ مِنْ بَعْدِ
وَحَدَّثَنِي عَنْهُمْ حَدِيثًا فزادني جُنُونًا فزِدْنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ

* * *

أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ مِنْ الْأُمُورِ لَعَجَبًا، وَإِنْ أَعْجَبَ فَالْعَجَبُ فِي جُودَتَيْنِ: أَوْلَاهُمَا
عِلْمٌ أَوْرَثَاهُ الذُّكُورُ، مَرْسُومًا بِرِسْمِهِمْ * مَوْسُومًا بِوَسْمِهِمْ * وَهُوَ
مِنْ عُنْصُرِنَا الضَّادِيِّ !! غَيْرَ أَنَّهُمْ بَسَطُوا مِنْ عُقْدَتِيهِ التَّاءَ، وَلَقِفْنَاهُ *
كَمَا تَقِفْنَاهُ * فَاعْجَبْ - ثَالِثَةٌ - لِمَنْ يَرِدُ مَا لَهُ * وَيَرِثُ مَالَهُ * وَلِكِنَّهُ
الزَّمَانُ الخُلْبُ وَالقُّلْبُ، وَلَأَنْتَ بِطَارِيئِهِ وَطَارِقِهِ أُذْرِي وَأُذْرِبُ،
قَدْ حَلَبْتَ أَشْطَرَهُ * وَقَلَبْتَ أُسْطَرَهُ * وَبَلَوْتَ مَشِيبَهُ * وَأَبْلَيْتَ قَشِيبَهُ *
حَتَّى عَادَ حِصْرُ العُمْرِ - لَدَيْكَ - زَيْبًا: يَتَقَطَّرُ - وَلَا نُكْرَ - ضَرْبًا *
وَيَتَقَطَّرُ - وَلَا سُكْرَ - طَرْبًا * نَعَمْ، طَعِمْتَ مِنْهُ مَرَارَةَ السَّقَاءِ * وَحَرَارَةَ
اللِّقَاءِ * وَحَلَاوَةَ الظَّفْرِ * وَظَلَاوَةَ السَّفْرِ * وَصَعَدْتَ فِي المَجْدِ،

وَلَمْ تَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَرِ *

فَقَدْ عَاشَ كُلَّ الدَّهْرِ مَنْ كَانَ عَالِمًا
حَلِيمًا كَرِيمًا فَاعْتَنِمِ أَطْوَلَ العُمُرِ

* * *

وثنائية الجودتين، التي دعاها النخاة والصرفيون اسم المنة من الجود،
وأسمها اللغويون، مصدر جاد يجود إذا صار جيدًا، وأما أنا فأعدها
الجود بأشبه وأشبه الألباب، ويدًا يضاء تلوح بالحسن بقضه وقضيه *
وغضه وغضيه * فأبي بأس في عجبى - جودت - من جودة تنقض قول النخاة
بأن الأسم غير المسمى ! ومن لك بالنوال الأنف يأتك ابتداءً بلا خبر،
فيعرف مجال العلم المضاف إليه نعت العلم وتميز الأدب توكيدًا ؟
تالله ما رأيت كالיום، وما أحسبني أعدل بهديتك شكرًا أرفعه *
وفكرًا أدفعه * وذكرًا أشفعه * وقدني أن كريم الصنائع صنعة
الكرام، وأن الأضل تتبعه الفروع، وأن الذهب الكبريت كوجنة
ذكاء؛ بروق بلا تكلف * وشروق بلا تخلف *

وَالنَّفْسُ أَخْلَقَ تَدَلُّ عَلَى الْفَتَى
أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أُمَّ تَسَاخِيَا

عَلَى أَنْ لَمَثَلَتِ الْعَجَبِ دَائِرَةً دَائِرَةً بِرُؤُوسِهِ * سَائِرَةً بِكُؤُوسِهِ * تَسْقَى
الْأَلْبَيْتَةَ الرَّوَاءَ * وَالْأَجَبَةَ الرَّوَاءَ * وَالْأَطْبَةَ الدَّوَاءَ * هِيَ شِعْرُكَ الْخَنْدَرِيْسُ ،
- وَأَنْ لَكَ بِالْمَعْتَقِ تَسْعِينَ وَأَزِيدَ - تَنْظِمُهُ لِمُسْعِ الْمُرْتَحِلِ * وَمَدْمَعِ
الْمُكْتَحِلِ * وَفَرِحَةَ الْوِلْدَانِ * وَقَرَحَةَ الْوِجْدَانِ * وَدِقَّةَ الْأَذْوَابِ * وَرِقَّةَ
الْأَشْوَابِ * فَقَدْ فِي نَظْمٍ مُتَنَكِّزٍ - كَمَا يَقُولُ الشُّدْيَاقُ - غَيْرَ أَنْ
قَرِيحَتَهُ إِلَى ذِي الْقُرُوحِ تَنْتَسِبُ * وَمِنْهُ تَكْتَسِي وَتَكْتَسِبُ *

ضِدَانٍ لَمَّا اسْتَجَبَا حَسَنًا وَالضِدُّ يُضَاهِرُ حُسْنَهُ الضِدُّ

هُوَ ذَلِكَ !! تَصَدَّعَ بِالرَّطَانَةِ * فَتَصَدَّحَ بِالْفَطَانَةِ * بَلْ تَعْدِلُ بِلِسَانِ
الغُلَامِ نَجِيٍّ الْعِنَادِ ، دَفِينِ رُومَةَ الْمَكْتَسَبِ أَسْمُهُ فِي الْمَاءِ ، وَلَهْجَتُهُ

شَيْخِ إِقْلِيمِ الْجَيْمَةِ الَّذِي تَوَجَّهَتْ إِذْ وَقَفَتْ بِالْجِسْرِ وَقِفَتُهُ قَبْلَ ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ
عَقْدًا !! أَوْلَسْمَ يُحْسِبُكَ بِرُحْلِيلِ مُلُوكِهِمْ ، فَلَا غِنَى وَلَا غِنَاءَ *
وَلَا سَنَى وَلَا سَنَاءَ * ؟؟ بَلَى ، بَيِّدَ أَنْ لَلشِّعْرِ فَلُكَهُ وَمُلُكَهُ ،

وَاحَتَهُ الْأَرِيضَةُ * وَسَاعَتَهُ الْعَرِيضَةُ * وَرَاحَتَهُ الْغَرِيضَةُ * وَشِمَانُ أَخْلَامِهِ *
وَجَمَانُ أَقْلَامِهِ * فَاحِبُهُ التَّاجُ - فُديتَ - وَلَكَ مِنْهُ الدُّرَّةُ الْبَاهِرَةُ * وَالْحَرَّةُ
الزَاهِرَةُ * وَالغُرَّةُ الظَّاهِرَةُ * وَمِنِّي الْإِقْلِيدُ مَذْهَبًا * وَالتَّقْلِيدُ مَذْهَبًا *

فَائِزٌ وَالشَّيْءُ حَيْثَمَا جُعِلَ

قَلَدْتُكَ الشُّعْرِيَا سَلَامَةً ذَا

بِيرُوتَ

فِي

مُحِبَّتِكُمْ
العَمِيدُ الْأَسْتَاذُ الدُّكْتُورُ

أُسْعَدُ ذَبْيَانَ ١٦/٩/١٩٩١

(١) هو الشاعر الإنكليزي المشتهر جون كيتس John Keats. سُمِّيَناهُ غلاماً لوفاته صغيراً (1821 - 1795) فهو مُشبَّهٌ بِطَرْفَةِ المعروفِ بِالغلامِ القليلِ . وَنَجِيَّ العنادرِ « لأنه ناجى العندليب في قصيدة له اشتهرت من النوع المسمَّى : Ode ، و«دفين رومة» لأنه توفي مُستشفياً بِرُومة في السَّنة المذكورة ، ولذا نأجَاهُ شاعرنا جَوَدَتْ في قصيدته المَعنونة :

Rome and John Keats . وأما أَكْتَابُ أسمه في الماءِ فإشارةٌ إلى بيتِ الشاعرِ كِيتسِ نَفْسِهِ ، نَظْمَهُ من نوعِ ما يُكْتَبُ على القَبْرِ بَعْدَ الوفاةِ ، وفيه ذلك المعنى المشارُ إليه .

(٢) هو أَكْبَرُ شعراءِ الإنكليزِ في العَصْرِ الرُّومَنِيِّ : وَلِمْ يَهُ وَوَرْدُورْثِ William Wordsworth المتوفى سنة 1850 . سُمِّيَناهُ سَمِيحاً مُطابِقَةً مع قولنا عن الأولِ : «الغلام» ، ولكونه أُسنَّ شعراءِ تلكِ المدرسةِ وَأَطْوَلَهُمْ عُمُراً ، وَوَقَلِيمِ البَحْرَةِ « ناحية مشهورة بالجزيرة الإنكليزية الكبرى وأشهرها ، Lake District ، وقد عاش فيها الشاعرُ شَطراً وافِراً من عُمُرِهِ ، في جوارِ شاعرينِ من أَقرانهِ ومُدْرَسَتِهِ .

و«توجهت» إشارةٌ إلى قول الشاعرِ جودت له :

Bearing the regal crown of prosody

وذلك في قصيدته التي في ديوانه، المتعلقة بوردزوث وغنائياته التي نظمها
على جسر وستمنستر Westminster ، وهناك وقف شاعرنا كمثله
وخاطبه .

(٣) إشارة إلى ما كان من اختيار وردزوث ليكون شاعر البلاط
الإنكليزي في عصر الملكة فيكتوريا ، ولقبه : Poet Laureate ،
ومعناه الحرفي : الشاعر المكلل بالغار .